Al-Hikmah: Jurnal Agama Dan Ilmu Pengetahuan
Vol. 18 No.2, Oktober 2021

P-ISSN 1412-5382
E-ISSN 2598-2168

ASCETICISM POETRY BETWEEN IMAM SHAFI'I AND ABU AL-ATAHEYA A COMPARATIVE STUDY

شعر الزهد بين الإمام الشافعي وأبي العتاهية

دراسة مقارنة

Sekou Kouyate
King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia
jelifama@gmail.com

ABSTRACT

The research aims to compare the two poets in terms of social, religious, cultural, economic, and psychological factors and then talk about the similar poetic contents of both poets within the framework of ascetic poetry. The researcher used the French school curriculum, in which the comparison is made between literature that is related to each other based on impact and influence. The most prominent result of the study was that Abu Al-Atheya was influenced by imam shafi'i in some aspects of his poem, but he invented and mastered it perfectly.

Keywords: *The Poetry of Asceticism, Imam Shafi'i, Abu al-Ataheya, Comparative Literature.*

الملخص

يهدف البحث إلى المقارنة بين الشاعرين من حيث العوامل الاجتماعية، الدينية، الثقافية والاقتصادية، والنفسية، ثم يتضمن الحديث عن المضامين الشعرية المتشابهة لدى كلا الشاعرين، في إطار شعر الزهد. استخدم الباحث منهج المدرسة الفرنسية، التي تجرى فيها المقارنة بين الآداب التي يرتبط بعضها ببعض على أساس التأثّر والتأثير. وكان من أبرز نتائج الدراسة أن أبا العتاهية قد تأثّر بالإمام الشافعي في بعض مضامين شعره الزهدي، لكنه ابتدع فيها وأتقنها كلّ الإتقان.

الكلمات المفتاحية: شعر الزهد، الإمام الشافعي، أبو العتاهية، الأدب المقارن.

FIRST RECEIVED:	REVISED:	ACCEPTED:	PUBLISHED:
22 May 2020	13 June 2021	22 June 2021	31 October 2021

المقدمة

يقوم البحث على مقارنة تطبيقية بين الشاعر الإمام الشافعي، وأبي العتاهية في إطار الشعر الزهدي، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة، ومبحثين، وتناولت المقدمة موضوع البحث وخطته، ومنهجه، وتساؤلاته، وتناول المبحث الأول نبذة عن حياة الشاعرين، وجُعل المبحث الثاني لتحليل المضامين الزهدية من خلال النماذج المختارة لكل منهما.

وأما منهج الدراسة، فالدراسة تقوم على أساس المدرسة الفرنسية، التي تجرى فيها

P-ISSN 1412-5382
E-ISSN 2598-2168

المقارنة بين الآداب التي يرتبط بعضها ببعض على أساس من العلاقة، أي أن يكون هناك مؤثّر ومتأثّر، وناقل ومنقول عنه. وأما السؤال الأساسي الذي تبحث عنه الدراسة هو: هل تأثر أبو العتاهية في شعره الزهدي بالإمام الشافعي؟

المبحث الأول: نبذة عن حياة الشاعرين:

المطلب الأول: تعريف موجز بالشاعرين:

الشافعي، هو محمد بن إدريس الإمام: (150هـ - 204ه)، هو إمام لمذهب فقهي، وقد شغّله الفقه بكامله، ولكنه نظم الشعر وكان له دورا في حياته لأن شعره كان يغطّي مساحة واسعة من نظرته إلى المجتمع كما يحمل الشيء الكثير من المواعظ والنصح والتوجيه، نشأ في حجر أمه في قلّة عيش وضيق حال. كان عالما بالقرآن والحديث والتفسير والعربية والعروض والنحو، وهو أوّل من دوّن علم أصول الفقه فكتب في ذلك " الرسالة "، لم يهتمّ الشافعي بالشعر كثيرا وقد قال في ذلك:

ولو لا الشـعر بالعلماء يزري لكنـت اليوم أشـعر من لبيـد

وعلى نقيض من أبي العتاهية، كان الإمام – يرحمه الله – من أسخى الناس بما يجد، وقصص سخائه مشهورة (1).

أما أبو العتاهية، أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي العيني (130ه – 212هـ) يعدّ خير شاهد لشعر الزهد العربي في العصر العباسي الأول، الذي كان يعيش عيش المتهتكين ويجري مجرى أهل الخلاعة والمجون، وأنه سمي بأبي العتاهية؛ لأنه كان يحب التعتّه والتّهتّر والمجون، ثمّ تحوّل عن هذا الطريق، فلبس الصّوف وانصرف إلى الزهد والتقشف (2)، لكن سلوكه تميّز بتناقض فاضح بين التظاهر بالزهد والدعوة إلى التجرّد وعمل البرّ، وبين البخل والشحّ (3).

المطلب الثاني: أسباب نزعتهما الزهدية:

الفرع الأول: العوامل الاجتماعية، الدينية، الثقافية والاقتصادية:

إن حياة الإمام الشافعي الاجتماعية تشبه في كثير من النواحي حياة أبي العتاهية، من حيث كثرة الفرق والمذاهب الدينية والانحلال الأخلاقي وظهور البدع، وكان الإمام يرى أن الترابط الاجتماعي بين الناس أصبح ضعيفا، وإزاء هذا الوضع على الإنسان أن يعايش الواقع ويتكيف معه ما أمكن ذلك، وكان يرى أن ليس بالأمر السهل المحافظة على صديق ما لم تخفض جناحك وتغضي عن كثير من الأمور، وللشافعي في ذلك درس مطوّل ألقاه على يونس بن عبد الأعلى، والإنسان الذي تحتاج إلى مداراته ليس بأخ لك وإرضاء الناس لا سبيل إليه، ولذلك فعليك بما ينفعك فالزمه، وبهذه الوصايا وغيرها يرشد الإمام إلى كيفية التعامل مع الناس، وهو لم يبخل

(1) ينظر: الشامي: صالح أحمد: مواعظ الإمام الشافعي. تاريخ الاطلاع: 1440/6/29هـ. الموقع الإلكتروني: https://www.wattpad.com/3684235

(2) ينظر: ضيف، شوقي: الفن ومذاهبه في الشعر العربي. مصر: دار المعارف، ط2، بدون تاريخ. ص115.

(3) ينظر: عطا الله، سمير: أبو العتاهية بالفرنسية. جريدة الشرق الأوسط، العدد 8066، ديسمبر 2000م، الموافق 1 شوال، 1421هـ. تاريخ الاطلاع: 1440/6/29هـ. الموقع الإلكتروني: http://archive.aawsat.com/leader.asp?section=3&article=19177&issueno=8066#.XIAWpurAPIU

P-ISSN 1412-5382
E-ISSN 2598-2168

بنصائحه في سبيل تبصير المسلم بكيفية أداء دوره في الحياة الاجتماعية بشكل فاعل[4] .

فالشافعي كإمام وفقيه لفت انتباهه هذه الانحرافات الحاصلة في عصره، فحرص على توجيه الناس بشتى الأساليب شعرًا ونثرًا. مات أبو الإمام – رحمهما الله - وهو صغير فحملته أمه إلى مكة وهو ابن سنتين لئلا يضيع نسبه، فنشأ بها وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين [5]، فهذا يعني أن أمّه قد أرضعته حب العلم والحرص على صحبة العلماء، ولم تصرفه عن ذلك لدنيا يصيبها أو حرفة يكتسب منها رغم يتمه وفقره.

أما أبو العتاهية، فقد نشأ في بيئة كانت هناك طبقة تغرق في الترف والنعيم، وكان جمهور الشعب يعيش في الضّنك والبؤس، وظلت الحياة العقلية مزدهرة بما نقل وما كان ينقل من الثقافات الأجنبية، مما هيّأ لظهور فلاسفة عظام وعلماء بارعين في جميع العلوم اللغوية والبلاغية والنقدية والتاريخية والإسلامية والكلامية، وكثر حينئذ النساك والزهاد في متاع الحياة الدنيا، وعاشوا معيشة كلها شظف وتقشف وتبتل وعبادة، ومن آثار الحركة العلمية في هذا العصر ظهور المذاهب الأربعة، المالكية والحنفية والشافعية والحنبلية، كما اتسم العصر الذي عاش فيه أبو العتاهية بالحرية الدينية، بحيث نرى فيه المذاهب المتعدّدة والفرق المتجدّدة والديانات السماوية، فلعل أبا العتاهية قد تأثّر بهذه الديانات والثقافات في مرحلة من حياته[6].

كان في بدء أمره يبيع الجرار فقيل له (الجرار) ثم اتصل بالخلفاء وعلت مكانته عندهم [7].

الفرع الثاني: العوامل النفسية:

كانت حالات الإمام الشافعي النفسية واستعداداته الفطرية مختلفة عما سنراها عند أبي العتاهية، حيث اقتضت تربيته منذ صغره أن يختار هذا المذهب الزهدي. وإذا ما تتبّعنا ديوان الشافعي – رحمه الله – نجد أنه لم ينظم إلا في الأغراض التعليمية الدينية الخُلقية التوجيهية والإرشادية ولم ينظم فيما مضى من الأغراض التي ذكرناها لأبي العتاهية من مدح وغزل ورثاء وهجاء...إلخ، إنه لم ينصرف للدنيا قط؛ لأن طبيعة نشأته لم تكن لتفتح له فرصة الانهماك في ملذات الدنيا ، بل أعدّته ليكون حاملا همّ توجيه الناس وتعليمه ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم، فكان واحدا من أولئك العلماء الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويرون في ذلك من واجبات هذا الدين، فقيامه بنظم قصائد تحمل غاية زهدية إن هو إلا لسدّ باب حاجة في نفسه وهي مهمة الوعظ و تقديم النصيح للناس.

ومن الجوانب النفسية التي كانت تشغل بال الإمام وكان تأكيده عليها متكرّرا: العقيدة والعلم وذكر الآخرة، هذا بالإضافة إلى تقديم ما ينفع الناس من النصح في دنياهم وأخراهم

(4) الشامي: صالح أحمد: مواعظ الإمام الشافعي. الموقع الإلكتروني:
https://www.wattpad.com/3684235
(5) http://ar.wikipedia.org محمد بن إدريس الشافعي.
(6) ينظر: ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي. مصر: دار المعارف، ط1، 1960-1995م. 80/3، 104/4، 565/3، 5/4، 105/4، 279/5.
(7) ينظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام. دار الملايين، ط15، 2002. 321/1.

P-ISSN 1412-5382
E-ISSN 2598-2168

من النصح والإرشاد، كمدح القناعة وذم الطمع... إلخ [8]. وتظهر لنا حياة أبي العتاهية في مظهرين متباينين: حياة الغزل ومعاقرة الخمر، وحياة الوعظ والتقشّف، فقد كان في المرحلة الأولى من حياته يعيش كسائر شعراء عصره، يمدح ويرثي ويتغزّل، أشعاره في مدح الخلفاء العباسيين مثل (المهدي) و (الهادي) و (الرشيد) و (المأمون)، أما الغزل فتدلّ على انصرافه في أول عهده إلى حياة اللهو والتهتك، واشتهر بها حتى زعموا أنه كني بأبي العتاهية لأنه كان يحب التهتك والمجون [9]. ولعل الدافع الأساسي في ترك سيرته الأولى هو فشله في حبّه لـ (عُتبة) جارية المهدي [10]، فيقول المعرّي في هذا الشأن:

اللهُ يَنقلُ من شاءَ رُتبةَ بعدَ رتبةْ
أبدى العتاهيُّ نُسكاً وتابَ من ذكر عُتبةْ [11]

وهذا أبو العتاهية يشير إلى ما تحمّل من الألم والهجر في حبّ عتبة:

لم يُبْقِ مِنّي حبُّها ما خلا حُشَاشَةً في بَدَنٍ ناحل [12]

إضافة إلى ذلك، ربما إرادته التميزّ عن معاصريه الذين انغمسوا في اللهو واللعب، من العوامل التي أدت به إلى سلك هذا المذهب الزهدي في شعره.

المبحث الثاني: تحليل المضامين الزهدية في شعر الإمام الشافعي، وأبي العتاهية:

أولا: قصيدة الإمام الشافعي:

النص الأول:

دَعِ الأَيَّامَ تَفْعَل مَا تَشَاءُ ... وطب نفساً إذا حكمَ القضاءُ
وَلا تَجْزَعْ لحادثة الليالي ... فما لحوادثِ الدنيا بقاءُ
وكنْ رجلاً على الأهوالِ جلداً ... وشيمتكَ السماحةُ والوفاءُ
وإنْ كثرتْ عيوبكَ في البرايا ... وسَركَ أَنْ يَكُونَ لَها غِطَاءُ
تَسَتَّرْ بِالسَّخَاء فَكُلُّ عَيْب ... يغطيه كما قيلَ السَّخاءُ
ولا تر للأعادي قط ذلا ... فإن شماتة الأعدا بلاء
ولا ترجُ السماحةَ من بخيلٍ ... فَما فِي النَّارِ لِلظْمآنِ مَاءُ
وَرِزْقُكَ لَيْسَ يُنْقِصُهُ التَّأَنِّي ... وليسَ يزيدُ في الرزقِ العناءُ
وَلا حُزْنٌ يَدُومُ وَلا سُرورٌ ... ولا بؤسٌ عليكَ ولا رخاءُ
إذا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ ... فَأَنْتَ وَمَالِكُ الدُّنْيَا سَوَاءُ
وَمَنْ نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِ الْمَنَايَا ... فلا أرضٌ تقيهِ ولا سماءُ
وأرضُ الله واسعةٌ ولكن ... إذا نزلَ القضا ضاقَ الفضاءُ
دَعِ الأَيَّامَ تَغْدِرُ كُلَّ حِينٍ ... فما يغني عن الموت الدواءُ [13]

النص الثاني:

تَوَكَّلتُ في رِزقي عَلى اللهِ خالِقي ... وَأَيقَنتُ أَنَّ اللهَ لا شَكَّ رازِقي
وَما يَكُ مِن رِزقي فَلَيسَ يَفوتُني ... وَلَو كانَ في قاعِ البِحارِ العَوامِقِ
سَيَأتي بِهِ اللهُ العَظيمُ بِفَضلِهِ ... وَلَو لَم يَكُن مِنّي اللِسانُ بِناطِقِ
فَفي أَيِّ شَيءٍ تَذهَبُ النَفسُ حَسرَةً ... وَقَد قَسَمَ الرَحمَنُ رِزقَ الخَلائِقِ [14]

ثانيا: قصيدة أبي العتاهية:

لعَمْرُكَ، ما الدّنيا بدارِ بَقَاءِ؛ ... كَفَاكَ بدارِ المَوْتِ دارَ فَنَاءِ
فلا تَعشَقِ الدّنْيا، أُخَيَّ، فإنّما ... يُرَى عاشِقُ الدُّنيَا بجُهْدِ بَلاَءِ
حَلاَوَتُهَا ممزوجَةٌ بمرارةٍ ... ورَاحتُهَا ممزوجَةٌ بِعَنَاءِ
فَلا تَمشِ يَوْماً في ثِيابِ مَخيلَةٍ ... فإنَّكَ من طينٍ خلقتَ ومَاءِ
لَقَلَّ امرُؤٌ تَلقاهُ لله شاكِراً؛ ... وقَلَّ امروٌ يرضَى لهُ بقضَاءِ
ولله نَعْمَاءٌ عَلَينا عَظيمَةٌ، ... ولله إحسانٌ وفضلٌ عطاءِ
ومَا الدهرُ يوماً واحداً في اختِلاَفِهِ ... ومَا كُلُّ أيامِ الفتى بسَوَاءِ
ومَا هُوَ إلاَّ يومُ بؤسٍ وشدةٍ ... ويومُ سُرورٍ مرَّةً ورخاءِ
وما كلّ ما لم أرْجُ أحرَمُ نَفْعَهُ؛ ... وما كلّ ما أرْجوهُ أهلُ رَجاءِ
أيَا عجبَا للدهرِ لاَ بَلْ لريبِهِ ... يخرِمُ رَيْبُ الدَّهْرِ كُلَّ إخَاءِ
وشَتَّتَ رَيبُ الدّهرِ كلَّ جَماعَةٍ ... وكَدّرَ رَيبُ الدّهرِ كُلَّ صَفَاءِ

---

(8) ينظر: الشافعي، محمد بن إدريس: ديوان الإمام الشافعي. جمعه وحققه وشرحه: الدكتور إميل بديع يعقوب. بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، 1416هـ - 1996م. ص 112،95،115،89،88.

(9) ينظر: ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي. 240/3، 249.

(10) ينظر: المرجع السابق. 239/3.

(11) المعري، أبو العلاء: شرح اللزوميات. تحقيق: سيدة حامد، زينب القوصى، منير المدني، وفاء الأعصر، إشراف: الدكتور: حسين نصار، مركز تحقيق التراث، بدون طبعة وتاريخ. 160/1.

(12) أبو العتاهية: ديوان أبي العتاهية. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1406هـ -1986م، بدون طبعة. ص 386.

(13) الشافعي، محمد بن إدريس: ديوان الإمام الشافعي. ص 39-41.

(14) المصدر السابق. ص 109.

P-ISSN 1412-5382
E-ISSN 2598-2168

إذا ما خَليلي حَلّ في بَرْزَخ البِلى ، فَحَسْبِي بِهِ نَأياً وبُعْدَ لِقَاءِ
أَزُورُ قبورَ المترفينَ فَلا أرَى بَهاءً، وكانوا، قَبلُ،أهل بهاءِ
وكلُّ زَمانٍ واصِلٌ بصَريمَةٍ ، وكلُّ زَمانٍ مُلطِّخٌ بجَفَاءِ
يِعزُّ دفاعُ الموتِ عن كُلِّ حيلةٍ ويَغْيَا بداءِ المَوْتِ كلُّ دَواءِ
ونفسُ الفَتَى مسرورَةٌ بنمائِهَا وللنقْصِ تنْمُو كُلُّ ذاتِ نمَاءِ
وكم من مُفدًّى ماتَ لم يَرَ أهْلَهُ حَبَوْهُ، ولا جادُوا لهُ بفِداءِ
أمامَكَ، يا نَوْمانُ، دارُ سَعادَةٍ يَدومُ البَقَا فيها، ودارُ شَقاءِ
خُلقتَ لإحدى الغايَتين، فلا تنمْ، وكُنْ بينَ خوفٍ منهُمَا ورَجَاءُ
وفي النَاسِ شرٌّ لوْ بَدا ما تَعاشَرُوا ولكِنْ كَسَاهُ اللهُ ثوبَ غِطَاءِ(15)

ثانيا: ملامح تأثّر أبي العتاهية بالإمام الشافعي:

لقد بلغ صيت الإمام الشافعي من فرط الذيوع ما بلغ، قال أيوب أبو يعقوب البويطي: رأيت الناس بمصر والشام والعراق والكوفة والبصرة والحجاز من كل صنف من علماء القرآن والفقه ولسان العرب والسير والكلام وأيام العرب، ما رأيت أحداً يشبه الشافعي [16]، هذا يعني أن الإمام كان معروفا في كل هذه الأقطار المذكورة وإذا كان أبو العتاهية قد قضى شطرا من حياته في الكوفة، فلا شك أنه سمع بالإمام أو اطلع على كتبه، إذ كان يجيد اللغة العربية.

وإذا ما عرفنا أن الإمام قد رحل إلى كل من مصر ومكة، والمملكة العربية السعودية تحدّها العراق من الشمال [17]، وقد انتقل أبو العتاهية بين مدن العراق، حيث ولد في عين التمر ثم انتقل إلى الكوفة فبغداد، كل ذلك يؤكّد أنه كان قريبا من الإمام، وسماعه منه، ومن ثَمّ تأثيره به.

ولنذهب إلى أبعد من ذلك، فقد رحل الإمام إلى العراق أكثر من مرة يقول صاحب البداية والنهاية: "ثم عاد الشافعي إلى العراق في سنة خمس وتسعين ومائة فاجتمع به جماعة من العلماء هذه المرة منهم أحمد بن حنبل وأبو ثور والحسين بن على الكرابيسى والحارث بن شريح البقال وابو عبد الرحمن الشافعي والزعفراني وغيرهم..."[18]، وقد تأثر به علماء كثيرون منهم أبو ثور إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي يقول صاحب كتاب (تاريخ ابن الوردي): "... فيها توفي أبو ثور إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي الفقيه البغدادي صاحب الإمام الشافعي وناقل أقواله القديمة عنه وكان على مذهب أهل الرأي حتى قدم الشافعي إلى العراق فاتبعه..."[19]. كل هذا يؤيّد قولنا بتأثّر أبي العتاهية به.

تلك المضامين الزهدية التي أنشدها أبو العتاهية متأثرا بالشافعي، ولا سيما بعد انتشار المذهب الشافعي فلا بدّ أن يكون أبو العتاهية بثقافته العربية الواسعة قد طالعه مرارًا وتكرارًا، ومن أبرز تلك المضامين:

1-الرضا بالقضاء والقدر:

يقول الشافعي:

دَعِ الأيَّامَ تَفْعَل مَا تَشَاءُ وطب نفساً إذا حكمَ القضاءُ
وَلاَ تَجْزَعْ لحادثة الليالي فما لحوادثِ الدنيا بقاءُ

يشير الإمام في هذين البيتين إلى أنه لا بد من التسليم والإيمان بالقضاء والقدر، وأن مصائب الليالي ونوائبها الليالي، سوف تزول

(15) أبو العتاهية: ديوان أبي العتاهية. ص12-13.
(16) اليحصبي، أبو الفضل القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك. المغرب: مطبعة فضالة – المحمدية، ط1، 1966-1970. 185/3.
(17) http://ar.wikipedia.org (السعودية).
(18) أبو الفداء: إسماء بن عمر: البداية والنهاية. بيروت: مكتبة المعارف، بدون طبعة وتاريخ. 252/10.
(19) الوردي، زين الدين عمر بن مظفر: تاريخ ابن الوردي. بيروت: دار الكتب العلمية. 1417ه -1996م، بدون طبعة. 217/1.

P-ISSN 1412-5382
E-ISSN 2598-2168

فلا بقاء لها، وهي سنة الله في أرضه. وقد وظّف أبو العتاهية معنى القضاء بشكل مشابه لهذا، حيث بدأ بذمّ الدنيا، في قوله:

لعَمْرُكَ، ما الدّنيا بدارِ بَقَاءِ؛ كَفَاكَ بدارِ المَوْتِ دارَ فَنَاءِ
فلا تَعشَقِ الدّنْيا، أُخَيَّ، فإنّما يُرَى عاشِقُ الدُّنيَا بجُهْدِ بَلاَءِ

فعاشق الدنيا لا يخلو عن مصائب، فكأنّما استخدم صيغة التصغير في لفظة (أخي) للتقليل من شأن عاشق الدنيا. ولعلّ غرض الشاعر من هذه المقدمة، التي صاغها لذم الدنيا، هو تهيئة ذهن المخاطب لاستيعاب معنى القضاء والقدر، فالمرء عندما يكره شيئا، فإنه لا يبالي بما يجري فيه من خير أو شرّ، ولا يبدي له اهتمامًا.

وبعد هذه المقدّمة، شرع الشاعر شيئا فشيئا إلى توظيف دلالة الإيمان بالقدر في شعره، فبدأ ببيان تقلّب حوادث الدنيا، وأن الأيام ليست كلها سواء يوم لك ويوم عليك ويوم يسير وآخر عسير، وأن هذه التقلّبات أمر إلهي، لا نستطيع تغييرها، بل علينا الإيمان بقضاء الله وقدره، يقول:

حَلاَوَتُهَا ممزَوجَةٌ وَرَاحتُهَا ممزوجَةٌ بِعَنَاءِ
بمرارة

ويقول أيضا:

ونفسُ الفَتَى مسرورَةٌ بنمائِهَا وللنقْصِ تنْمُو كُلُّ ذاتِ نمَاءِ

فالعمر كلما ازداد نقص، وما خُلقنا للبقاء، بل ثمة يوم آخر غير اليوم: (فما لحوادث الدنيا بقاء)، ويؤكد هذا المعنى في أبيات أخرى، حيث يقول:

وَمَا الدهرُ يوماً واحداً في اختِلاَفِهِ وَمَا كُلُّ أيامِ الفتى بسَوَاءِ
وَمَا هُوَ إلاَّ يومُ بؤسٍ وشدة ويومُ سُرورٍ مرَّةً ورخاءِ

والاقتباس في هذين البيتين واضح، فقد اقتبس الشاعر قوله تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) الشرح: (5-6).

ثم يصرّح بضرورة الرضا بقضاء الله وقدره، وشكره على ما أسبغ علينا من نعمه وعدم الكفران بها، فيقول:

لَقَلّ امرُؤٌ تَلقاهُ لله شاكِراً؛ وقلَّ امروٌ يرضَى لهُ بقضَاءِ
ولله نَعْمَاءٌ عَلَينا عَظيمَةٌ ، ولله إحسانٌ وفضلُ عطاءِ

2- لزوم الصبر على الأهوال:

يقول الشافعي:

وكنْ رجلاً على الأهوالِ جلداً وشيمتكَ السماحةُ والوفاءُ

يطالب الشاعر المرء في صدر البيت أن يكون قويا صلدا أمام الشدائد، ولعلّ الغرض من تخصيص الشاعر الرجل بالخطاب دون المرأة، كون صفة القوة والتصلّد تكمن في الرجال أكثر من النساء.

ويشير أبو العتاهية إلى المضمون نفسه، فيقول:

وكلُّ زَمانٍ واصِلٌ بصَريمَةٍ ، وكلُّ زَمانٍ مُلطَفٌ بجَفَاءِ

فالزمان محفوف بالجدّ والصعاب، وما خُلق الإنسان للرّاحة (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ)؛ لذا عليه أن يستعدّ لمواجهة تلك الصعاب بالصبر والسماحة.

3-الرزق بيد الله:

يقول الشافعي:

P-ISSN 1412-5382
E-ISSN 2598-2168

تَوَكَّلتُ في رِزقي عَلى اللهِ خالِقي وَأَيقَنتُ أَنَّ اللهَ لا شَكَّ رازِقي
وَما يَكُ مِن رِزقي فَلَيسَ يَفوتُني وَلَو كانَ في قاعِ البِحارِ العَوامِقِ
سَيَأتي بِهِ اللهُ العَظيمُ بِفَضلِهِ وَلَو لَم يَكُن مِنّي اللِسانُ بِناطِقِ
فَفي أَيِّ شَيءٍ تَذهَبُ النَفسُ حَسرَةً وَقَد قَسَمَ الرَحمَنُ رِزقَ الخَلائِقِ

فالرزق بيد الله، ولا يفوت المرء ما قد كتبه الله له، وإن كان في قاع البحر، يأت به الله. ويقول الشافعي أيضا:

وَرِزْقَكَ لَيْسَ يُنْقِصُهُ التَأَنِّي وليسَ يزيدُ في الرزقِ العناءُ

فالتمهل في طلب الرزق لا ينقصه، وكذلك التعب في السعي- لحدّ ارتكاب المحظور- لا يزيده، وإذا كان الأمر كذلك، فليس للمرء إلا أن يقنع بما قدره الله له، لأن القناعة من أجلّ ما يملك الإنسان في الحياة، يقول الشافعي:

إذا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ فَأَنْتَ وَمَالِكُ الدُّنْيَا سَوَاءُ

ثم يشرع الشاعر في ذكر فضائل السخاء، وذمّ البخل حيث يقول:

وإنْ كثرتْ عيوبكَ في البرايا وسَترُكَ أَنْ يَكُونَ لَها غِطَاءُ
تَسَتَّرْ بِالسَّخَاءِ فَكُلُّ عَيْبٍ يغطيه كما قيلَ السَّخاءُ

فبالجود والكرم يستطيع المرء إخفاء عيوبه على أعدائه، والناس كافة.
ويقول:

ولا ترجُ السماحةَ من بخيلٍ فَما فِي النّارِ لِلظمآنِ مَاءُ

يحاول الشاعر - عن طريق المقارنة بين السخاء والبخل - الإشارة إلى أن الرزق بيد الله، فالسخاء مطلوب دائما وأبدا ما دام البخل لن يزيد في الرزق شيئا، كما أن السخاء لن ينقصه كذلك.

ولأبي العتاهية بيت يُجمل المعنى نفسه، حيث يقول:

وما كلّ ما لم أرْجُ أحرَمُ نَفْعَهُ؛ وما كلّ ما أرْجوهُ أهلُ رَجاءِ

فالرزق لا ينقص بالتأني وعدم الطلب، كما أن التفنّن في طلبه بدرجة الوقوع في الحرام لا يزيده شيئا، بل على الإنسان أن يقنع بما لديه لأن الله جعل لكل شيء قدرا.

4-ذكر الموت:

يقول الإمام الشافعي:

وَمَنْ نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِ الْمَنَايَا فلا أرضٌ تقيهِ ولا سماءُ
وأرضُ الله واسعةٌ ولكن إذا نزلَ القضا ضاقَ الفضاءُ

فالأرض الفسيحة تضيق إذا نزل القضاء، وما حكم الله للإنسان. ثم ذكر خيانة الأيام وأنها لن تُسخر لأحد، وأن الموت لا يغني عنه دواء طبيب، فقال:

دَعِ الأَيَّامَ تَغْدِرُ كُلَّ حِينٍ فما يغني عن الموت الدواءُ

ونجد أبا العتاهية، يصوغ المعنى نفسه، فقد استغرق في ذمّ الدنيا، ونظر إليها نظرة ازدراء وتشاؤم واحتقار، كل ذلك لألاّ يلتفت إليها المرء، ويكدّر بها آخرته، وينسى الموت، فيقول:

أيَا عجبَا للدهرِ لاَ بَلْ لريبِهِ يخرِمُ رَيْبُ الدَّهْرِ كُلَّ إخَاءِ
وشَتَّتَ رَيبُ الدَهرِ كلَّ جَماعَة وكَدَرَ رَيبُ الدّهرِ كُلَّ صَفَاءِ
إذا ما خَليلي حَلَّ في بَرْزَخِ البِلى، فَحَسْبِي بِهِ نأياً وبُعْدَ لِقَاءِ
أَزُورُ قبورَ المترفينَ فَلا أرَى بَهاءً، وكانوا، قَبْلُ،أهل بهاءِ

ويقول أيضا:

P-ISSN 1412-5382
E-ISSN 2598-2168

وكم من مُفدًّى ماتَ لم يَرَ أهْلَهُ حَبَوْهُ، ولا جادُوا لهُ بفِداءِ
أمامَكَ، يا نَوْمانُ، دارُ سَعادَة يَدومُ البَقَا فيها، ودارُ شَقاءِ
خُلقتَ لإحدى الغايَتينِ، فلا تنمْ، وكُنْ بينَ خوفٍ منهُمَا ورَجَاءُ
وفي النّاسِ شرٌّ لوْ بَدا ما تَعاشَرُوا ولكِنْ كَسَاهُ اللهُ ثوبَ غِطَاءِ

ولعلّ المقصود بكلمة (الشرّ) في البيت الأخير، هو السرّ الذي يبقيه الله –سرمدا- بين الميت وأهله، فالميت لا يدري ماذا يجري وراءه، وكذلك الأحياء لا يدون ماذا يحدث لميتهم. تلك هي المضامين المشتركة في هاتين القصيدتين وقد رأينا كيف تأثر أبو العتاهية ببعض مضامين الشافعي الزهدية، لكنه ألبسها لبوسه الخاص، لذا فهي بعيدة كل البعد عن السرقات الأدبية أو الاقتباس التام، وقريبة إلى التوارد الذهني والتأثّر.

ثالثا: الأساليب الشعرية لهذين الشاعرين:

إن لهذين الشاعرين على -وجه الإجمال- خصائص مشتركة في أسلوب شعرهما الزهدي، من جملة تلك الخصائص المشتركة عندهما: السذاجة والبساطة في اختيار الألفاظ والمعاني، والبعد عن التكلف والتعقد والاقتباس من القرآن، ثمّ عدم التفنّن في استخدام الصور البلاغية.

الخاتمة

لقد أسفر بحثنا حول المقارنة بين أساليب الشاعرين الزهدية عن النتائج التالية:

1- إن المتمعن في الشعر الزهدي لهذين الشاعرين يجد أسبابا مشتركة، إذ يبدو أن أبا العتاهية تأثّر بالشافعي في بعض مضامين شعره الزهدي، لكنه ابتدع فيها وأتقنها كلّ الإتقان.
2- أما من حيث النظر إلى الدنيا، فقد كان الشافعي ينظر إليها نظرة إيجابية، بينما كان ينظر إليها أبو العتاهية نظرة تشاؤمية.
3- إن شعر كلا الشاعرين يمتاز بالسلاسة والعذوبة والانسجام، بعيدا عن الجمود والتعقيد والصور الخيالية الغريبة، أو قل: هي أقرب إلى النثر والخطب المنبرية البليغة والفصيحة منه إلى الخيال الشعري.

المصادر والمراجع

أبو العتاهية. (1406هـ -1986م). ديوان أبي العتاهية. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.

أبو الفداء، إسماء بن عمر. (2002): البداية والنهاية. بيروت. مكتبة المعارف.

الزركلي، خير الدين. (؟). الأعلام. دار الملايين.

الشافعي، محمد بن إدريس. (1416هـ - 1996م). ديوان الإمام الشافعي. جمعه وحققه وشرحه: الدكتور إميل بديع يعقوب. بيروت: دار الكتاب العربي.

ضيف، شوقي. (؟). الفن ومذاهبه في الشعر العربي. مصر: دار المعارف.

المعري، أبو العلاء. (؟). شرح اللزوميات. تحقيق: سيدة حامد، زينب القوصى، منير المدني، وفاء الأعصر، إشراف: الدكتور: حسين نصار، مركز تحقيق التراث.

الوردي، زين الدين عمر بن مظفر. (1417هـ -1996م). تاريخ ابن الوردي. بيروت: دار الكتب العلمية.

P-ISSN 1412-5382
E-ISSN 2598-2168

اليحصبي، أبو الفضل القاضي عياض. (1966-1970). ترتيب المدارك وتقريب المسالك. المغرب: مطبعة فضالة – المحمدية.

المواقع الإلكترونية:

عطا الله، سمير. (2000م). أبو العتاهية بالفرنسية. جريدة الشرق الأوسط، العدد 8066، ديسمبر 2000م، الموافق 1 شوال، 1421هـ. تاريخ الاطلاع: 1440/6/29ه. الموقع الإلكتروني: http://archive.aawsat.com/leader.asp?section=3&article=19177&issueno=8066#.XIAWpurAPIU